الفصل التاسع

درسنا إلى الآن مؤسسات الولايات المتحدة ، فاستعرضنا قوانينها ، ووصفنا ما فى تلك البلاد من أشكال المجتمع السياسى القائمة فعلاً .. ولكن فوق هذه المؤسسات كلها ، ووراء كل هذه الأشكال الخاصة ، توجد سلطة ذات سيادة ، هى سلطة الشعوب التى فى قدرتها أن تهدم ، أو تعدل منها ما شاء على ما تحب وتهوى . وبقى علينا الآن أن نبين الطرق التى تعمل بها هذه السلطة التى تعلو على سلطة القوانين ؛ ونذكر ميولها وأهواءها واللوالب الخفية التى تحركها وتوجهها فى مجراها الذى لايقاوم ، أو تعطلها أو تستحثها فيه ؛ كما بقى أن نذكر النتائج التى تترتب على سلطتها التى لاحد لها ، ونبين المصير الذى تخبئه لها الأقدار .

كيف صح القول بأن الشعب هو الحاكم الفعلى فى الولايات المتحدة

الشعب هو الذى يعين أعضاء السلطتين التشريعية والتنفيذية فى أمريكا ، وهو نفسه الذى يقدم هيئة المحلفين التى تتولى عقاب الناس على ما يرتكبونه من مخالفات للقانون . فالمؤسسات فى أمريكا ديمقراطية ، لا من حيث مبدؤها فحسب ، بل ومن حيث كل ما يترتب عليها من نتائج أيضاً ، فالشعب يختار ممثليه مباشرة ، وينتخبهم كل سنة عادة كى يضمن تبعيتهم له ؛ ومن ثم كان الشعب هو القوة الحقيقية التى توجه شئون البلاد . ومع أن شكل الحكومة نيابى ، فليس خافياً على أحد أن آراء الشعب ، وكل ما يتحزب له ، ويهتم به ، بل وانفعالاته كلها ، لايعوقها عائق دائم عن ممارسة أثرها المستمر فى إدارة الشئون اليومية للمجتمع ، فالأغلبية هى التى تحكم فى الولايات المتحدة باسم الشعب ، شأنها فى ذلك شأن الأغلبية فى سائر البلاد التى يكون الحكم فيها له . وتتكون هذه الأغلبية أساساً من مواطنين مسالمين يرغبون مخلصين فى توفير السعادة لأوطانهم ، سواء كان مرجع هذه الرغبة ميولهم الطبيعية أو مصالحهم الشخصية . ولكن حول هؤلاء المواطنين تقوم ضجة لاتنقطع من الأحزاب[1] فى سعيها للحصول على تعاونهم وتأييدهم .

---

(١) يعتبر توكفيل الأحزاب هيئات غريبة عن البلاد وأنها كثيراً ما تفسد الحياة السياسية فيها ، وكان هذا رأياً شائعاً فى عصره . ومن حظ الولايات المتحدة أنها لم يظهر فيها أكثر من حزبين سياسيين .